

## شذرات

# بضاعتكم الفاسدة الكاسدة ترد إليكم!

### زياد صنت

ربما قلة منا يتذكرون أياماً في تواريخنا المعاصرة والحديثة عندما كان كل طامع في سلطة في بلادنا، أو متطلع لتسلم قيادة أو مستوزر... إلخ يسوغ أفعاله وأقواله بأنها من أجل قضية العرب الأولى، قضية فلسطين. فلسطين كانت قميص عثمان والمنبر الذي استخدمه كثر من السياسيين، من أجل «الصعود» والوصول إلى المنصب. وكما كان تحرير فلسطين وتحريرها تتقدم شعاراتهم قبل الوصول إلى مواقعهم، فقد فقدت موقعها، حتى في خطاباتهم، بعدما وصلوا إلى ما يطمحون إليه.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يختزل آخرون تبنيهم فلسطين، قضيتنا الأولى والأخيرة لأنها تلخص كل نضالاتنا على الصعد كافة، الوطنية والاقتصادية والفكرية والعقديّة وغيرها، بشعار هنا أو بحركات بهلوانية هناك وتحرك استعراضي في مناسبة ثالثة، وهكذا.

من منظورنا، فلسطين قضية انتماء وطني/ قومي، أيّاً كان تأويل الأخير وتطبيقاته العملية، وليست قضية تضامن. أن تكون وطنياً/ قومياً يعني أن فلسطين قضيتك الحياتية وحتى الشخصية، وعندما تكون فلسطين هي القضية، فإن كل ما قد يتناقض مع هذا المفهوم وجب نبذه.

أما مسألة التضامن مع فلسطين، من نمط «متضامنون» على سبيل المثال، فهو أمر معيب حقاً. التضامن يكون، في ظني، مع الآخر. وبذلك فإن القول بالتضامن مع هذه القضية أو تلك، والمعني هنا فلسطين، يعني أمراً واحداً هو أن هذه القضية تعني قائلها من باب الدعم وليس من منظور التبني. هذه العقلية غير السوية هي التي تقود إلى خيارات اختصار قضية فلسطين والنضال من أجلها إلى شعارات ومقولات وما إلى ذلك من الاستعراضات الفارغة. هذه النظرة العرجاء هي التي تختزل النضال من أجل فلسطين في مجموعة منتقاة من الطقوس التي تتكرر في الأعياد والمناسبات، الوطنية وغيرها! وفي أحدث تجل لهذه النظرة غير السوية لقضية فلسطين، بوصفها تعبير مكثف عن نضالات شعوب أمتنا من أجل التحرر الوطني والقومي والفكري والاقتصادي... إلخ، (انظر إلى مشاركة السيد المنصف المرزوقي، رئيس الجمهورية التونسية الأسبق الذي أعفاه الناخب التونسي أخيراً هو ومن وراءه، من منصبه، في سفينة ماريان الإغاثية التي توجهت في شهر حزيران الماضي إلى الأراضي الفلسطينية المحررة، المسماة مجازاً «قطاع غزة»).

لا ندري كيف نصف تصرف رئيس الجمهورية التونسية الأسبق! هل هو عمل تضامني؟ لنعد قليلاً إلى سنوات حكم السيد المنصف المرزوقي ونسأله مستنكرين: عندما كنت في موقع الرئاسة في تونس، ماذا قدمت لفلسطين؟ وإذا ما قدمت من شيء مادي، لم نسمع به، فهل تناسب ذلك مع ما بمقدورك عمله وأنت في أعلى منصب سياسي في تونس؟!

السيد رئيس الجمهورية الأسبق! هل طالبت بحظر أي تواصل مع العدو الصهيوني وعد أي عمل تطبيعي معه على أنه تصرف يقع تحت خانة الخيانة العظمى! هل طالبت بوضع تحرير فلسطين ضمن مواد دستور البلاد التي ترأستها! هذا بعض مما كان بإمكان عمله، وهو أضعف الإيمان، لو كنت تعد فلسطين قضيتك الوطنية والشخصية حقاً. وهل اعترضت على حلفائك، الذين جاؤوا بك إلى السلطة، واستخدامهم منبر «الأيبياك» الصهيوني للترويج لحكهم ولحسن نواياهم تجاه أعداء فلسطين!

لو أنك فعلت ذلك لكان بإمكان المرء النظر إلى مشاركة السيد المنصف المرزوقي في سفينة الإغاثية على أنها تجديد لمواقف سابقة. لكن تذكر فلسطين عندما نكأ الناخب التونسي عن موقعك يجعل المرء يقول: هذا التضامن الاستعراضي، مهما كان مصدره، فاسد وبضاعة كاسدة، وتمثيلية لا تنطلي على أحد.

[تنويه: الأخطاء اللغوية والتركييبية، هي من المصدر]

«إلى حضرة حميد الشيم الأجل الأفخم المحب العزيز الميجر جي. سي. مور بولتكل أجنث [يعني: political agent] الدولة البهية القيصرية الإنكليزية بالكويت دام محروسا. بعده، نعرض لسعادتك بخصوص تعديبات الدويش وأتباعه. فبتاريخ 26 محرم 1339 هجماً على الجهرة وفعلاً بموجب ما بيّننا لجنابكم بوقتته ونحن ما كنا مستعدين من حيث أننا أمّين بواسطة الجواب من قبولنا لتحكيم الحكومة البريطانية. فالآن الدويش ومن معه نزلوا على الصبيحية وأرسل لنا مندوبين بطلب المسألة على شروط ليست مرضية ولا يمكن نوافق عليها. فبئنا [= فبئنا] عليه بحسب الصداقة التي بيننا وبين الحكومة البريطانية نطلب المساعدة بدفع هاء إلا [هؤلاء] من هذا الموقع. ولا زلنا شاكرين فضل الحكومة البريطانية. هذا ما لزم ودمتم محروسين. في 6 صفر 1339 هـ. سالم المبارك الصباح حاكم الكويت.»

وقبيل منتصف ليلة 1920/10/20 وصلت السفينة الحربية البريطانية «سبيكل» إلى ميناء الكويت وبدأت ترسل أسهماً نارياً حمراء في الجو حتى الصباح، لتطمئن الشيخ الصباح. ثم رمت طائرة حربية بريطانية مندوب اسمه منديل بن غنيمان يدعوه إلى الدخول في الإسلام، وأن يترك هو وأهل الكويت ما هم عليه من كفر وعُهر، وأن يطهروا مدينتهم من الشيعة، وأن يقطعوا علاقاتهم مع النصاري. فعز على الشيخ سالم، رغم ما به من كرب، أن يقبل بمثل هذه المطالب التي تجعله كافرًا وداعراً. ولكنته، من بعد أن ضيق عليه الحصار، لم يجد بداً من أن يقبل العُوج طلباً للفرج!

وأرسل الدويش إلى سالم الصباح، بعد أن بلغه أن الأخير يرضى بالدخول في الإسلام، مفتي «الإخوان» الشيخ عثمان بن سليمان، ليُعلم أهل الكويت أمور دينهم. وكانت مطالب المفتي الوهابي كالتالي: أولاً أن يقَرّ الكويتيون أمامه بأنهم يدخلون الآن في الإسلام ويطبقون أركانه الخمسة. وصاح كل المحشورين في الحصن، وقد صاروا إلى حال مقرّف من الضجر: «أسلمنا... أسلمنا». وكان الشرط الثاني أن يلغى «سوق البغاء»

في المدينة، فقبلوا. ثم رضوا أن يتركوا المنكرات والتدخين، وأن يدخلوا الشيعة عن الكويت، بل إنهم وعدوا أيضاً بأن يطردوا القنصل البريطاني من بلدهم. وأن يهدموا المستشفى الأميركي الذي سمع «الإخوان» بأن أطباءه يقومون بالتبشير بالمسيحية، تحت ستار التطبيب والرعاية الصحية.

وتظاهر الشيخ سالم بن مبارك الصباح بالموافقة على مطالب الإخوان، وأوعز إلى عبد العزيز الرشيد بأن يكتب رسالة إلى «الأخ» فيصل الدويش يخبره بالموافقة على كل شروطه، وأولها الدخول في الإسلام؛ على أن يفك الحصار، وينسحب «الإخوان» من الجهرة إلى الصبيحية. وبعد ذلك، يجيء إليهم سالم الصباح ومعه جميع أهل الكويت، ليشهدوهم كيف أنهم دخلوا للإسلام على أيديهم.

وطبقاً لهذا الاتفاق، انفك الحصار. ففرّ الكويتيون بجلودهم، وهم لا يكادون يصدقون بأنهم قد أفلتوا!

**حضرة حميد الشيم الأجل الأفخم** ما إن خرج أول أصابع رجل الشيخ سالم الصباح خارج المصيدة، حتى بعث مستعجلاً إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الميجور جون مور، بهذا المكتوب.

\* كاتب عربي

«راجفة الإخوان»، وراوهم وهم يقبلون عليهم مقتحمين، أيقن أهل الكويت أن ذلك اليوم سيكون آخر أيام حياتهم!

### اسلمنا... اسلمنا!

ولقد بدت نتيجة معركة بلدة «الجهراء» (أو «الجهري») كما تنطق) محسومة سلفاً. غير أن الكويتيين، وقد أيقنوا أن لا أمل لهم في مهرب أو نجاة، اتخذوا من يأسهم عزماً، فاستبسّلوا وراء أسوارهم، في الدفاع عن أنفسهم، تلك الليلة، أي استبسّال! وكان كلما تقدم إليهم فوج من «الإخوان»، أضلّوه بنيرانهم؛ حتى مات من الوهابيين الذين يعز عليهم أن يتولوا يوم الزحف، خلق كثير. ولقد دفعت مذبحة «الإخوان» بقائدهم فيصل الدويش أن يقَرّر الهجوم بنفسه على الحصن حاملاً الراية. لكنّ عدداً من معاونيه أمسكوا به زاعمين له أن لا شيء يستدعي منه ذلك، فالقصر ساقط ساقط، إن ينصل السيف، أو ينصل الجوع، وليس هناك أي داع للعجلة؛ وهكذا هدأ القتال بين الوهابيين والكويتيين، تلك الليلة، حتى حلّ الفجر.

في صباح يوم الثلاثاء 12 تشرين الأول 1920، طلب ابن صباح التفاوض. وكان قد جاءه إلى حصنه، قبل يومين، من فيصل الدويش مندوب اسمه منديل بن غنيمان يدعوه إلى الدخول في الإسلام، وأن يترك هو وأهل الكويت ما هم عليه من كفر وعُهر، وأن يطهروا مدينتهم من الشيعة، وأن يقطعوا علاقاتهم مع النصاري. فعز على الشيخ سالم، رغم ما به من كرب، أن يقبل بمثل هذه المطالب التي تجعله كافرًا وداعراً. ولكنته، من بعد أن ضيق عليه الحصار، لم يجد بداً من أن يقبل العُوج طلباً للفرج!

وأرسل الدويش إلى سالم الصباح، بعد أن بلغه أن الأخير يرضى بالدخول في الإسلام، مفتي «الإخوان» الشيخ عثمان بن سليمان، ليُعلم أهل الكويت أمور دينهم. وكانت مطالب المفتي الوهابي كالتالي: أولاً أن يقَرّ الكويتيون أمامه بأنهم يدخلون الآن في الإسلام ويطبقون أركانه الخمسة. وصاح كل المحشورين في الحصن، وقد صاروا إلى حال مقرّف من الضجر: «أسلمنا... أسلمنا». وكان الشرط الثاني أن يلغى «سوق البغاء»

في المدينة، فقبلوا. ثم رضوا أن يتركوا المنكرات والتدخين، وأن يدخلوا الشيعة عن الكويت، بل إنهم وعدوا أيضاً بأن يطردوا القنصل البريطاني من بلدهم. وأن يهدموا المستشفى الأميركي الذي سمع «الإخوان» بأن أطباءه يقومون بالتبشير بالمسيحية، تحت ستار التطبيب والرعاية الصحية.

وتظاهر الشيخ سالم بن مبارك الصباح بالموافقة على مطالب الإخوان، وأوعز إلى عبد العزيز الرشيد بأن يكتب رسالة إلى «الأخ» فيصل الدويش يخبره بالموافقة على كل شروطه، وأولها الدخول في الإسلام؛ على أن يفك الحصار، وينسحب «الإخوان» من الجهرة إلى الصبيحية. وبعد ذلك، يجيء إليهم سالم الصباح ومعه جميع أهل الكويت، ليشهدوهم كيف أنهم دخلوا للإسلام على أيديهم.

وطبقاً لهذا الاتفاق، انفك الحصار. ففرّ الكويتيون بجلودهم، وهم لا يكادون يصدقون بأنهم قد أفلتوا!

**حضرة حميد الشيم الأجل الأفخم** ما إن خرج أول أصابع رجل الشيخ سالم الصباح خارج المصيدة، حتى بعث مستعجلاً إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الميجور جون مور، بهذا المكتوب.



فإنني أمر لكم من الآن بجمع خُسمها، الذي هو نصيبي، وإرساله معكم لأهل الكويت.

وأما الدقية فهو غنيمة الإخوان.»

وكذلك عاد وقد ابن صباح إلى الكويت، في يوم 1 تموز 1920. وقابل الشيخ سالم مندوب عبد العزيز، فتلاسنّا. ورأى المندوب السعودي رجال حائل في مجلس ابن صباح، ومسرّة الأخير بهم، وما يحضّره من السور حول الكويت. فأضمر ذلك في نفسه، وأخبر به عبد العزيز، حين التقاه، وفهم ابن سعود أنّ سائلاً «يلعب بذيّله». فبعث، من فورهِ، لقائد جيشه سلطان الدويش، المتمركز في هجرة «الأرطاوية»، ليتجهز لغزو الكويت. وجمع الدويش أربعة آلاف من جنوده، وأقبل بمن معه إلى «الجهراء»، فجر يوم 10 تشرين الأول 1920. وتجهز الشيخ سالم بمن في مدينته من رجال، ويفرسان شمر الذين أمده بهم حاكم حائل. وخرج بدوره، في أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل، لصد الغزاة السعوديين.

وفي الساعة السادسة من صباح يوم الأحد الموافق 1920/10/10، زحفت قوات «الإخوان» على قرية الجهراء الكويتية، وتمركزوا في مرتفع يسمى «صيهد ابن الرشيد»، الواقع في الجنوب الغربي من البلدة. كان هجوم الإخوان عنيفاً، لدرجة لم يستمر معها القتال أكثر من ثلاث ساعات، قتلوا فيها من الكويتيين قرابة 300 شخص.

وكان أول من هرب من ساحة المعركة الشيخ سالم الصباح، فقد انسحب إلى داخل حصن بحري صغير يسمى «القصر الأحمر». وانتشرت، من بعد فرار الشيخ، الفوضى في بقية القوات الكويتية المدافعة، واندفع أفرادها بغير نظام، طلباً للسلامة (3). واحتمى الهاربون الكويتيون جميعاً بذلك «القصر الأحمر»، وغلّقوا من خلفهم الأبواب، حتى غص بهم غضاً. وانتشر جنود ابن سعود في البساتين كالجراد، ينشرون الموت والخراب، ويقتلون كل من يقابلهم. وأطبق الحصار الخانق على الكويتيين يومين كاملين، بلا طعام أو شراب. وكانت عيشتهم في الحصن عيشة ضنكا. حتى إذا حل مساء اليوم التالي (11 تشرين الأول)، وسمعوا